من شؤون المسلمين والعالم

الجولة القادمة في قضية فلسطين

لا فرق عند المسلم المخلص لقضية فلسطين بين يهودي يسيطر على الأرض مغتصباً خيراتها باسم الصهيونية ، أو اسم التوراة ، أو اسم الاشتراكية .. بقوة السلاح أو قوة المال .. كلّ هؤلاء سواء في الاغتصاب والتعدّي ، ولا يجوز لمسلم القبول ببقاء أي منهم على اغتصابها وتعدّيه ..

وأوّل ما بدأت النكبات في فلسطين بدأت من خلال محاولة التمييز بين يهود يريدون (اغتصاب الأرض بـــالقوة) وآخرين يريدون (شراء الأرض بالمال) .. ثم توالت النكبات وتطوّرت النظرة .. ففريق يميّز بين الـــصهيونيين وبـــين اليهود ، وما اليهودي الذي يغتصب الأرض ويعيش فيها أو يدعم الاغتصاب بماله ولـــو عـــاش خـــارج الأرض إلاّ صهيونيّ القلب والقالب ولو لم يكن (عضواً رسمياً) في الحركة الصهيونية ..

وفريق آخر يميّز بين طبقة مسيطرة استعمارية وطبقة محكومة .. ويرى في نفسه الاستعداد للتحالف مع المحكومين على الحاكمين باسم (الديمقراطية) حيناً أو اسم (الاشتراكية) حيناً آخر ..

وكثير من حكام العرب في هذه الأيام يحاولون بكلّ سبيل إقناع المسلمين بوجود فريق من الساسة الإســـرائيليين يختلف عن الفريق الآخر .. فبيجن وحزبه ومعهم جماعات (الحزب القومي الديني) وحركة (جوش آمونيم) في نظـــر هؤلاء : متطرّفون متعجرفون توسّعيون .. إلى آخر ما يطلقونه من صفات ، بينما يتحدّثون عن (بيريـــس) وحـــزب العمال ومعهم (حركة السلام الآن) وجماعات مشابهة .. أنّهم هم المعتدلون المتعقّلون القنوعون ..

المسلم المخلص للقضية لا يفرّق بين هؤلاء جميعاً . ولا ينظر للقضية بمنظار من يفرّق بين يهود ويهود ، بل يتابع طريقه في خدمة القضية مستقلاً عن هؤلاء جميعاً ، وإن كان يطرح ما يقولون على عامّة المسلمين لتحليله ووضعه في موضعه السليم

وقضية فلسطين تواجه اليوم مرحلة أخطر بنتائجها وأهدافها من مراحل سبقتها على طريق المخططات المرسومة ، ولها أبعاد كثيرة ، منها انشغال مجموع المنطقة بكلّ قضية كبيرة وصغيرة عن القضية التي من المفروض أن تكون هـــي القضية الأساسية المشتركة ..

ومنها أيضاً أنّ مرحلة كامب ديفيد حققت أغراضها الرئيسية في فصل مصر عسكرياً وسياسياً عن مجموع المنطقة وفي زيادة تمزيق الكلمة العربية بين الأنظمة القائمة ، وبات الأمر في حاجة إلى وجوه جديدة بعد كارتر وقد مضى ، وبيجن وقد انتهى واقعياً ، والسادات وقد أفلس سياسياً ، على أن تكون الوجوه الجديدة مختلفة في المظهر لا الجوهر .. جوهر الاستعداد لتصفية القضية تصفية نهائية وجماعية

كما تذكر هنا الاستعدادات السياسية والعسكرية لأي احتمال يمكن أن يتحقق بظهور قوة لم يحسب حسابها في المنطقة تقف موقف الصلابة والصمود من هذه المخططات وقفة حقيقية تؤدي إلى إحباطها ، ولئن كـــان الوجـــود السياسي والعسكري الأمريكي والغربي المتزايد في المنطقة قد برّر محلياً ودولياً بأخطار الإســـلام في وجهـــه الثـــائر ، والأخطار على النفط المتدفق على الغرب .. فإن هذا الوجود بعينه يؤدي دوراً آخر مباشـــراً في قـــضية فلـــسطين ، كضمان مباشر للتصفية المتوقعة خلال عهد (ريجان) و(بيريس) وأنظمة الحكم العربية القائمة حاليا

وتذكر بالمقابل الاستعدادات السياسية والعسكرية السوفييتية من خلال وجود مـــشابه متزايـــد في المنطقـــة ، إن استهدف حماية أنظمة تابعة قائمة فيها من جهة ، فإنه يستهدف من جهة أخرى أن تتحقق التصفية النهائية بمشاركته وبما يحقق بعض مصالحه على الأقل ، أو بالسعي لمقايضة الغرب كسباً بكسب ونفوذاً بنفوذ

ولكن أخطر هذه الأبعاد في اعتقاد المسلم المخلص للقضية هي الحملة الإعلامية الموجّهة المستمرة منذ بدأت نكبة فلسطين ، للانتقال بالمسلم في البلاد العربية والإسلامية نفسانياً من مرحلة إلى أخرى ، من الرفض الإسلاميّ القـــاطع تجاه الوجود اليهوديّ كلّه في أرض الإسراء والمعراج ، إلى حصر القضية في النطاق العربيّ دون الإسلاميّ ، إلى إثبات عجز الأنظمة القائمة مرّة بعد أخرى واتجاهاً بعد اتجاه عن استئصال الكيان الغاصب لفلسطين ، إلى تبديل شـــعارات التحرير والعودة .. بشعارات إزالة آثار (نصف) العدوان دون نصفه الآخر ، إلى طرح إمكانات التعايش مكان الجهاد والقتال ، إلى ممارسة التعايش ممارسة عملية مفروضة .. وسط فريق يعارض وفريق يمالىء ، إلى رفض التعايش بهـــذه الصورة والقبول به بصورة أخرى ..

والمرحلة الجديدة المتميّزة بتبديل الأشخاص بعد زوال كارتر من المسرح السياسي وقرب زوال بيجن من المسرح ، وتقديم شخصيات أخرى إلى مقدّمة المسرح مكان السادات .. هذه المرحلة تحتاج في إطـــار الحملـــة الإعلاميـــة النفسانية إلى جهود أخرى تبذل لإقناع المسلمين عامة ، المفروض عليهم الجلوس علـــى مقاعـــد المتفـــرّجين بـــأنّ الشخصيات الجديدة على المسرح أقدر على حلّ القضية بالصورة (المنشودة) ..

ولهذا نجد في أجهزة الإعلام العربية صوراً لريجان تتراوح بين وصفه برجل أمريكا القوي الجديد الـــذي يمكـــن الاعتماد عليه ، ورجل أمريكا القوي الجديد الذي لا يمكن مقاومة ما يريده .. ونجد فيها أيضاً صوراً لبيريس تتراوح

بين التأكيد المطلق على فوزه في الانتخابات القادمة لأنه (غير متطرّف مثل بيجن) ! ، وبــين اعتبــاره الشخــصية (الإسرائيلية) الأقدر على نسج الخطوط السياسية للاتفاق مع بلدان أخرى سوى مصر

وعلى المسلم القارئ والسامع والمشاهد لما ينشر ويبثّ في هذا الإطار واعتماداً على ما ساهم الإعلام في إدخالــه في روعه في السنوات الماضية ، أن يقتنع بأنه لا بدّ من التسوية السلمية هكذا أو هكذا ، عن قبول وقناعة ، أو عــن اضطرار وكراهة .. وخير له أن يقبل بما يرسمه ويصنعه الساسة العرب غير المشاركين في (كامب ديفيد) مباشرة مــن أن يضطر إلى القبول باستمرار تنفيذ مخطط (كامب ديفيد) .. لا يوجد احتمال ثالث سوى هذين الشرّين ، فليقبــل بأهون الشرّين!

وتتسرّب من حين إلى آخر أنباء تنفي لاحقاً أو تترك معلقة في ساحة القضية ، إما عن لقاءات سرّية مع اليهــود جرت فيما مضى ، أو عن لقاءات محتملة في المستقبل ، أو عن مخططات موضوعة في أوروبا تنتظر التنفيذ ، أو عــن تهديدات عسكرية لا قبل لـ (العرب) بها .. ومن هذه الأنباء ما يستهدف جسّ نبض المسلمين ، هل يثورون فيكــون بعض التمهّل في تنفيذ المخطط ، أم يستكينون فيمضي المنفّذون للمخطط شوطاً آخر ؟ .. ومن هــذه الأنبــاء مــا يستهدف التخويف فحسب ، فالمصير الأخطر يكون في حالة عدم التسوية السلمية مع اليهود ! .. فليتخلّ المسلمون عن بعض حقوقهم قبل أن يخسروا جزءاً أعظم من هذه الحقوق بمنطق القوة

والقضية في حقيقتها ليست قضية فروق بين كارتر وريجان ، وبين بيجن وبيريس ، وبين السادات .. وأقرانه

فالأمريكيون في عدائهم للإسلام والمسلمين وفي سعيهم للتسلّط على أراضيهم وثرواتهم .. سواء

واليهود في اغتصابهم الأرض وتشريدهم الشعب وفي واقع تمسّكهم بذلك بحجة توراتية أو أمنية أو سوى ذلك من الأباطيل .. سواء

وأنظمة الحكم العربية التي تسلّم بالتخلّي عن أرض فلسطين أو جزء منها ، تحت عنوان كامب ديفيد أو عنــوان جنيف ونيويورك ، ومن خلال التبعية لموسكو أو واشنطن ، وباسم محادثات مباشرة ، أو غير مباشرة ، وبمــشاركة كارتر وبيجن أو مشاركة ريجان وبيريس .. سواء

وما الفرق عند المسلم بين اغتصاب واغتصاب .. وفريق وفريق .. ومسرحية وأخرى .. وشخوص وشــخوص للتمثيل والتنفيذ ، ما دامت النتيجة هي هي الاغتصاب والتشريد مع التمسّح بعبارات السلام وحق تقريــر المــصير وحقوق شرعية وصبغة وطنية زائفة ؟ ..

ما الفرق عند المسلم بين أن يقوم كارتر والسادات وبيجن بفرض السلام وفي فلسطين الذبيحة يهدر السلام وتداس الحقوق بالأقدام ، وبين أن يقوم بهذا الدور في قادم الأيام ريجان .. وسادات آخر .. وبيريس ؟ ..

يبدو أن حكام العرب المسلمين في هذه الأيام لا يزالون يعتقدون في إمكانهم الاستمرار على مخادعة المسلمين بلا حساب ، وعلى سوقهم سوق القطيع إلى المسلخ دون مقاومة

وليس يواجه المخططات الأمريكية والصهيونية ، ويواجه خضوع الحكام بها أو قبولهم لها لمصالح ذاتية دنيوية رخيصة .. إلاّ وقوف المسلمين في قضيتهم المصيرية وقفة حازمة حاسمة ، يكسرون فيها قيود الإذلال المفروضة ، وحواجز الإرهاب المرسّخة ، ويسقطون أقنعة الخداع والزيف والتضليل .. ويستعيدون فيها زمام أمورهم وقضاياهم ، فيواجهون قوة الباطل بقوة الحق ، وجبروت الطاغوت بعزّة المؤمن ، وعجز المتخاذلين بجهاد المسلمين الصابرين

إنّ الروح الإسلاميّة الناهضة من أعماق الشعوب النافضة منها أردية الهوان في كلّ مكان من الأرض الإسلاميّة أعظم وأكبر من تقتلها وتقضي على نهضتها وانتفاضتها قوى الباطل جميعاً ، ولئن بذل أهل الباطل أقصى جهودهم لتمييع هذه النهضة والانتفاضة بصناعة ألوان من الإسلام المزيّف ، وتجميل الواقع الرهيب بألوان من المساحيق الرخيصة .. فما ذاك إلاّ لأنّهم يعلمون أن ساعة الخلاص قريبة ، وأنّها إذا أزفت فلن يملكوا إنقاذ أنفسهم من مصير محتوم عليهم .. وما ذاك أيضاً إلا دليل آخر على أن الشعوب المسلمة قادرة على خوض جولة جديدة مع أهل الباطل وعلى تحقيق الانتصار الحاسم فيها

وقد يبقى كلام المسلم المخلص للقضية غريباً عن أسماع من لا يزالون يجهلون حقيقة قوة الإسلام الذاتية المستمدّة من قوة الله ، ولكنّه على الدوام رهيب مخيف لهم .. لقناعتهم في أعماقهم بان حقّ الإسلام منتصر في النهاية ، ويحاولون تأجيل نهايتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فإلى متى ؟؟ .. سؤال ستجيب عليه قلوب المسلمين وسواعدهم بإذن الله ، ولقد حدّد الله معالمه في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۞ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٨-٣٩]

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٩]

﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُـــمَّ لا تُنْـــصَرُونَ ﴾ [هـــود :١١٣]